

طارق الاندلسي

الحذاء ونوبل للسلام

كم هي محظوظة الناس بالأحذية، تنتوج سنديلا بالإمارة لحذاءها الزجاجي و يطرد بوش بحذاء منتظر الزيدي فتنزل البركات على براك أوباما، يدخل البيت الأبيض و في زمن قياسي يفوز بجائزة نوبل للسلام لنواياه السلمية من خلال بعض الخطب السحرية.



أثار نبأ فوز الرئيس الأمريكي باراك أوباما بجائزة نوبل للسلام ردود فعل متباينة لكون الرئيس لم تمض تسعة أشهر على توليه الحكم ولم يحقق بعد إنجازا كبيرا في مجال السياسة الخارجية. وجاء في بيان اللجنة الترويجية التي تمنح جائزة نوبل للسلام بعد الإشادة بأوباما " أوجد أوباما كرئيس مناخا جديدا في السياسة الدولية. واستعادت الدبلوماسية متعددة الأطراف وضعها الرئيسي بتأكيد الدور الذي يمكن أن تلعبه الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى. وتفضيله الحوار والمفاوضات كأداتين لحل الصراعات الدولية بما في ذلك الصراعات الأكثر تعقيدا ". وتابعت " وبفضل أوباما تضطلع الولايات المتحدة الآن بدور بناء بدرجة أكبر في مواجهة التغيرات المناخية الكبرى التي يشهدها العالم. ويجري ترسيخ الديمقراطية وحقوق الإنسان.....". وأضافت " من النادر جدا أن تجد شخصا استطاع أن يجذب انتباه العالم ويمنح شعوبه الأمل في مستقبل أفضل كما فعل أوباما، ودبلوماسيته لها أساس في تصور يرى أن أولئك الذين يقودون العالم يجب أن يفعلوا ذلك على أساس من القيم والتوجهات التي تتشارك فيها غالبية شعوب العالم.....". وكتلت اللجنة الترويجية بيانها بالمصادقة على دعوة أوباما بأنه " قد حان الوقت الآن كي نتحمل جميعا نصيبنا في المسؤولية في رد عالمي على التحديات العالمية ". للتذكير فبراك حسين أوباما (48 عاما) أول أمريكي من أصل إفريقي يصبح رئيسا للولايات المتحدة دعا لنزع السلاح كما عمل على استئناف عملية السلام المتعثرة في الشرق الأوسط منذ توليه منصبه في يناير 2009.

وفي إبريل المنصرم في كلمة ألقاها ببراغ بين أوباما رؤيته بشأن تخليص العالم من الأسلحة النووية واعترف بأنه قد لا يتحقق هذا الهدف في حياته. ويجري الرئيس الأمريكي مفاوضات مع روسيا بشأن خفض الأسلحة وتراجع الشهر الماضي عن خطط لنشر أجزاء من الدرع الصاروخية الأمريكية في بولندا وجمهورية التشيك الموجهة إلى إيران حسب تأييدات واشنطن. وهناك قضايا ملحة وعصية يواجهها أوباما كمستقبل الحرب في أفغانستان، العراق، الصومال، الملف الكوري و البرنامج النووي الإيراني المثير للجدل وعملية السلام المتعثرة في الشرق الأوسط.....و راحة الفسفور الأبيض التي مازالت في سماء غزة وكان من صناع جرائمها الرئيس الصهيوني شمعون بيريز الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة 1994.

النملة تتكلم لتندبر مجتمعها

لقد أُنقِ الباحث الدكتور Robert Hickling سنوات طويلة في مراقبة الحشرات ورصد الترددات الصوتية التي تطلقها، ولكن لم يكن هناك إمكانية لتأيد ذلك إلا عندما تمكن من تسجيل الأصوات التي يصدرها النمل! وقد كان الهدف هو تتبع وجود النمل في المحاصيل الزراعية فلم يجدوا طريقة أجدى من تتبع صوت النمل! ولكن الذي أدهش ذلك العالم أن الترددات الصوتية التي يصدرها النمل تختلف من غلة لأخرى ومن جنس لآخر ومن موقف لآخر! فهناك 12 ألف نوع من النمل في العالم، وعدد النمل على الأرض يفوق عدد البشر بأضعاف مضاعفة، وأمام هذا التعدد يختار الباحثون كيف يتعاملون مع هذه الأصوات. لقد تمكن من تسجيل أصوات مختلفة للنمل، ونشرت هذه الأبحاث على مجلة Journal of Sound and Vibration عام 2006، وكانت المرة الأولى التي يسمع فيها الإنسان صوتاً حقيقياً للنمل! لقد نشر هذا الباحث العديد من الأبحاث وهي بحث حول التواصل عند النمل بعنوان Analysis of acoustic communication by ants على مجلة The Journal of the Acoustical Society of America وقد تبين بنتيجة هذه الأبحاث أن النمل يتفوق علينا في حاسة السمع ويتوقع العلماء أن النملة تستخدم قرون الاستشعار من أجل بث واستقبال الترددات الصوتية، تقوم النملة بتضخيم الإشارة الصوتية القادمة إليها مثل أجهزة الاستقبال الحديثة، بل وتقوم بإزالة مختلف التأثيرات أي تقوم بعملية فلتر أو تنقية للصوت، لتمييزه عما سواه! وهذا نظام متطور جداً للاتصال كان مجهولاً للعلماء، ولم يكتشفوه إلا منذ سنوات قليلة، ولكن القرن العظيم فقد تحدث عن هذا الأمر، يقول تعالى: **لَقَدْ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** [النمل: 18]. ففي هذه الآية إشارة واضحة إلى وجود لغة للنمل تتفاهم بها، وأن الله أعطى سيدنا سليمان القدرة على سماع هذه الأصوات وفهمها، واليوم يحاول العلماء فهم هذه الإشارات الصوتية التي يطلقها النمل، ولكنهم ميزوا أربعة أنواع من هذه الأصوات، وذلك بعد مراقبة استمرت سنوات طويلة. يستخدم النمل إشارات صوتية خاصة يطلقها أثناء إحساسه بالخطر، فنجد أن إحدى الخملات تتولى مهمة التحذير، فتطلق نداءً تستقبله صديقاتها وتفهمه، وتستجيب له على الفور. يؤكد العلماء أن النمل يشبهنا، فهو يقوم بأعماله على أكمل وجه، وأثناء العمل يتكلم النمل مع بعضه، ويتحدثون مثل البشر، ونجد أن إحدى الخملات تنظم عملية جمع الطعام وتنظم المرور وغير ذلك من خلال أصوات وتعليقات وأوامر تصدرها فتسمعها بقية الخملات وتستجيب لها! وعندما تهاجم النملة إحدى اليرقات فإنها تصدر أصواتاً مرعبة بالنسبة لليرقة، وهذه الأصوات كانت مجهولة تماماً وهي تشبه المعركة التي يخوضها البشر، عندما يحاولون إخافة الأعداء. لقد وجد الباحث Phil DeVries أن الحشرات تصدر اهتزازات صوتية ضعيفة يستطيع النمل تمييزها، وبالتالي فإن حشرة المن التي تفرز مادة سكرية يجذبها النمل، تبث أثناء عملها اهتزازات تلتقطها النملة فتأتي بسرعة لرزقها! وبالتالي فإن الترددات الصوتية هي وسيلة التواصل بين الحشرات، ولذلك قال تعالى: **لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاسْمِعْ لِحَدِيثِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيقًا غَفُورًا** [الإسراء: 44]. ويقول الباحث Robert Hickling إن النملة لا تتجاذب مع الأصوات الإنسانية ولا تتأثر بها، ولكن عندما توجه لها الترددات المناسبة فإنها تتأثر بها وترد عليها! وهذا يعني أن النمل يتمتع بلغة خاصة به يتفاهم بها، تماماً مثل البشر، وتذكر هنا قول الحق تبارك وتعالى: **وَلَا ظَالِمٌ يَبْطِرُ بِظَنَاحِهِ إِلَّا مَا مَلَكَ مَا قَرِطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** [الأنعام: 38].

بعيدا عن الجدل حول كيف يتم اختيار الفائزين بنوبل و من هو اللوبي وراء ذلك و هل يستحق اوباما نيل الجائزة. الشيء المنطقي و هو أن الرئيس الأمريكي أوباما لا يزال أمامه طريق طويل والكثير من العمل و حاليا لم يقدم إلا وعودا ولم يساهم بأي شيء في السلام العالمي . قطعاً إن اللجنة التي تمنح جائزة نوبل للسلام لها نظرة و إستراتيجية. أولاً, لا يختلف اثنان حول تأثيرها بخطب الرئيس اوباما البعيدة عن الواقع و هذا ناتج عن الفعل الرقي و الافتراضي الذي يعيشه العالم. الأمر الثاني ربما يقوم " الفكيقي" بتكريم الرئيس براك حسين اوباما ذو الأصول الأفرو-الإسلامية لتغطية أزمته مع المسلمين حول الرسومات أو بكل بساطة لتبيان للعالم النموذج الناجح للمسلم المذبلج أو المقسح. ثالثاً أليس تكريم اوباما له علاقة بجائزة نوبل للبرادي -2005 و البرنامج النووي الإيراني و الامتلاك النووي و البيولوجي و الكيماوي الصهيوني. السؤال المطروح هل حقق اوباما شيئاً ؟ في السلام العالمي, الفقر, موضوع التغير المناخي و الأمراض المستعصية و مازالت فضائح الشركات الأمريكية و التواصل مع منظمة الصحة العالمية في قضية لقاح أفلوزا الخنازير.

الشيء المؤكد و هو ماذا يخطط من وراء منح الجائزة للرئيس الأمريكي, هل للسبب البسيط و هي وعود اوباما و الأمل الذي يمثله من خلال خطبه, خاصة بعد السياسة الكارثية لمن سبقه في البيت الأبيض. المهم في الأمر ما هو المطلوب من براك حسين اوباما فعله مستقبلاً, على أية حال, على حكام العرب أن ينحنوا للأيام العجاف الآتية و المزيد من بيع القضية.

كنا نغنى لو أن أحد حكام العرب توج بالجائزة لجهودهم في نشر السلام و التفتية و خاصة القائد المغوار في الانبطاح محمود عباس أو شيخ الفلاسفة صاحب خجة العار العقيد القذافي.

شخصياً أرى أن الشيء الايجابي من نيا فوز الرئيس الأمريكي براك أوباما بجائزة نوبل للسلام وهو الحالة النفسية التي سيتأزم بها جورج بوش ومن جهة أخرى الانتماسة التي أدخلت على قلوب الأفارقة و الكيين للمرة الثانية بعد منح نفس الجائزة سنة 2004 لونغاري ميتا, فمشكورة اللجنة الترويجية على ذلك.

أخيراً نغنى من الرئيس الأمريكي براك حسين أوباما أن يهدي الجائزة للرجال الذين ضحوا من أجل العدالة و المساواة منذ زمن قونت كينتي , ليرنينك , ليجا , ملكوم آس